**Semat**
*An International Journal*

http://dx.doi.org/10.12785/semat//010112

# السميوزيس والتأويل: إنتاج المعنى وبناء الواقع واشتغال المجتمع

عبد الله بريمي/ المغرب

# Semiosis and Interpretation Production of Meaning, Construction of Reality and the Functioning of Society

**Abdellah Berrimi**

*University Mawlay, Ismail College of Al-Rashidia, Maknes, Morocco*
*Email: berrimi_abdellah@yahoo.fr*

*Received: 12 Nov 2012; Revised :9 Jan- 20 Feb 2013; Accepted: 23 Feb 2013*
*Published online: 1 May 2013*

**Abstract:** Usually Semiosis is regarded as involving two types of practices: production and interpretation. One of these patterns belongs rather to the order of action, while the other belongs to the order of thinking. There is no evidence that this distinction is subject to precise critical scrutiny. But we should not ignore its return. The value of this distribution starts from the operational dimension, making the distinction between two kinds of description, and two lanes of theoretical developments from these descriptions: the poetics and hermeneutics.
The assumption that I want to formulate is that the relation between the types of practices and their descriptions can be extended according to all the analysis and according to the possible context between expression and content which means we are confronted to an interpretative process governed by a strategy as long as it is related to what is discursif, which means engendering meaning and investing in concrete and significant effects. It is not the structure of the human mind, that produces the Interpretation but the reality that the semiosis builds up according to Umberto Eco.

**Keywords**: Semiosis, production, interpretation, critical, significant.

© 2013 UOB , SPC, University of Bahrain

# السميوزيس والتأويل
## إنتاج المعنى وبناء الواقع واشتغال المجتمع

**عبدالله بريمي** / المغرب

**إن العالم الذي تحيل عليه العلامة، عالم يبنى ويدمر داخل نسيج السميوزيس.**

إليزيو فيرون

**تقديم:**

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن بعض الإشكالات الأساسية لكل المهتمين بقضايا تحليل الخطاب؛ يتعلق الأمر بعالم السميوزيس الذي يحيل على كل اشتغال دال. إنه العالم الذي تحيل عليه العلامة، أي العالم الذي يبنى ويدمر داخل نسيجها، سواء كان واقعيا أو متخيلا أو غير قابل للتخيل على الإطلاق. وبالمناسبة،أود أن أقترح بأن كتابات بورس في هذا المضمار، تشتمل على فرضيات قرائية غاية في الدقة والاستعمال. فرغم الصعوبات والتأويلات التي أعطيت لكتاباته، إلا أن مقارباته التحليلية تعطينا انطباعا راسخا بأن السميوزيس ليس مفهوما لسانيا فحسب، بل سيرورة تبحث في الآليات والشروط المنطقية التي تجعل فهم واكتشاف الحياة اليومية والوجود، بعامة، أمرا ممكنا.إنه فهم يستند إلى علامات، ولكي نتمثل كنه إنتاج هذه العلامات يقترح علينا بورس العودة إلى التجربة الإنسانية البسيطة التي أطلق عليها في رسائله إلى لايدي ويلبي اسم الإيديوسكوبي Idéoscopie؛ أي: «العلم الذي يقوم بالوصف وتصنيف الأفكار المنتمية للتجربة العادية أو تلك التي تولد طبيعيا في ارتباطها مع الحياة العادية دون الاهتمام بصحتها أو بعدمها»[1] هذه التجربة تدلنا على أن كل ما يحيط بالذات الإنسانية لا يخرج عن سلطان العلامة، كما لا يمكن أن يدرك إلا من خلال تداخل ثلاث مقولات تسمح بإعادة تأليف الظاهرة الإنسانية ضمن تصور فينومينولوجي اصطلح بورس على تسميته بالفانيروسكوبيا Phanéroscopie بما هي وصف للظاهرة، والمقصود بها في عرف بورس «المجموع الكلي لكل ما هو حاضر في الذهن بأي صفة وبأي طريقة دون اعتبار ما إذا كان هذا يتطابق مع شيء واقعي أم لا»[2] فالظاهرة في أول الأمر ينظر إليها كنوعية وإمكان بالنظر إلى خصائصها الذاتية دون اكتراث بما تحيل وتدل عليه، ثم بعد ذلك ينظر إليها كشيء موجود

[1] Peirce (Charles Sanders). Ecrits sur le signe , rassembles, traduits et commentes par Gérard Deledalle, ED. Seuil, Collection, L'ordre Philosophique, Paris, 1978.P 22.

[2] Peirce (Charles Sanders). Ecrits sur le signe. P 72.

مجسد في وقائع وسلوكات وأشياء، ثم تدرك في الأخير على شكل قوانين ومفاهيم توجه وتتحكم في الموجودات والوقائع.

هذه الحلقة حسب بورس مرتبطة بمجموعة من العمليات الاستدلالية والمنطقية المؤدية إلى إنتاج الدلالة وتداولها التي بفضلها نستطيع تشييد علاقات بين الأشياء قصد الوصول إلى استنتاجات تتعلق بما يكون صادقا من التمثلات. لذلك فالإحالة على السيرورة المنطقية تعكس المشروع من عدمه من التأويلات المسندة لواقعة ما، وتساهم في تبني توقعات قادرة على بناء مسيرات استدلالية وعوالم تأويلية ممكنة.

إن تأليفا بين القضايا المطروحة (التجربة الإنسانية وكل مظاهر اليومي منظورا إليها من زاوية فلسفية ظاهراتية ومحكومة بآليات منطقية قياسية) يرجعنا إلى ما قمنا بإثارته في بداية هذه الدراسة؛ يتعلق الأمر بالمفهوم العام "للإحالة"Référenciation، سواء في استعمالاته العادية القاموسية أو في تصورات اللسانيين والسيميائيين والمناطقة وفلاسفة اللغة ...والتي تنهل من مشارب متعددة وفي بعض الأحيان مختلفة. يلزم هذه النظرية أن تدخل في حسابها بأن كل نسق دالَ، في استعماله المتعدد، يحيل على عالم ما سواء كان واقعيا أو متخيلا، ماديا أو مثاليا...[3] ، إنه عالم السميوزيس الذي لا يقف فقط عند حدود إنتاج موضوعات يلقى بها للتداول والاستهلاك، بل يدرجها أيضا ضمن أنساق ثقافية وتاريخية وقيمية تعطيها كافة تلويناتها وتحققاتها المستقلة.

فماذا نعني بالسميوزيس؟وأين تتبدى حدود التمفصلات الفلسفية واللسانية والنقدية الممكنة بينه وبين مفاهيم أخرى محايثة له أو مفارقة عنه من قبيل العلامة (سوسير) والوظيفة السيميائية (هيلمسليف) والحوارية (باختين) والتناص(كريستيفا) وفلسفة الشكل الرمزي (كاسيرير) والاستعارة (جاكبسون) والحوار الهرمينوسي (غادامير) والمعنى المزدوج (بول ريكور)والاختلاف بمعنييه (الإرجاء والمغايرة) (جاك دريدا).

**السميوزيس؛ الأصل الاشتقاقي والتاريخي:**

السميوزيس مصطلح سميائي ويقصد به حركية السيرورة المؤدية إلى انبثاق علامة جديدة، فالعلامة دائما هي وافد جديد، هذه الحركية، نظريا، لا نهاية لها ومن هنا عبارة السميوزيس اللامتناهية *semiosis ad infinitum*، إنها أيضا حركية لبناء وصياغة العلامة نفسها. مشتقة من الإغريقية σημείωσις sèmeiôsis وتعني فعل التدليل «action de signifier»

قدم هذا المصطلح من قبل الأمريكي شارل ساندرس بورس في نص طويل يعود تاريخه إلى سنة 1907 حيث كتب هذا النص في سياق نقاش حاد حول تعريفه البراغماتية. لم يلق هذا النص قبولا في الأوساط المعرفية، ولم يكتب له النشر في حياة بورس باستثناء بعض المقتطفات التي ظهرت في المجلد الخامس سنة 1934 من أعمال بورس الكاملة *Collected Papers*, وتحديدا في الفقرة 5.484 وضع فيها مفهوم السميوزيس في قلب نظرية العلامة.في هذا النص يظهر بورس الأصل اليوناني للكلمة، ذلك أن مصطلح سميوزيس sèmeiôsis يعني فعل التدليل. وينسخه بورس حرفيا عن اليونانية كما يستعمل أيضا المصطلح في نسخته الحديثة *semiosis*.

كان الفضل كذلك للفرنسي جيرار دولودال في جمع و ترجمة نصوص بورس وإدخالها إلى الثقافة الفرنسية تحت عنوان كتابات حول العلامة سنة 1978 Écrits sur le signe حيث أعاد

[3] Veron (Eliseo): "La Semiosis et son monde " in Langages 58 ,ED, Larousse.1984.

نقل الكلمة عن الإنجليزية semiosis وأوجد لها مقابلا بالفرنسية هو sémiose. بالمقابل أدخل أمبرتو إيكو في كتاباته بدءا من القارئ في الحكاية Lector in Fabula1985 صفة سميوزيسي Sémiosique ليعين بذلك خاصية سيرورة السميوزيس. وتختلف صفة سميوزيسي عن صفة سيميائيsémiotique ، فالأولى تعني سيرورة أو حركية العلامة، أما الثانية فتعني إما وضع العلامة أو الانتماء إلى نظرية العلامة. بمعنى آخر إن السميوزيس ظاهرة أما السميائيات فهي خطاب نظري حول الظواهر السميوزيسية.

**السميوزيس: التداول اللساني والسميائي:**

عادة ما يتم النظر إلى السميوزيس باعتبارها نمطا يتضمن نوعين من الممارسة: الإنتاج والتأويل. أحد هذه الأنماط ينتمي إلى نظام الفعل بينما الآخر ينتمي إلى نظام الفكر. وليس هناك دليل على أن هذا التصنيف خاضع لفحص نقدي دقيق، لكن لا ينبغي تجاهل مردوديته. فقيمة الفحص تتبدى في بعده الإجرائي؛ إذ يشكل منطلق نوعين من الممارسة، أو بالأحرى مسارين نظريين هما الشعرية والهرمينوسيا.

إن الفرضية التي أود صياغتها تتبدى في كون العلاقة التي تربط بين كل أنواع الممارسات وأوصافها يمكن أن تمتد إلى كل التحاليل وفق سياق مخصوص تفرضه العلاقة الممكنة بين التعبير والمحتوى.إنها علاقة بانية للتحليل السيميائي، وهنا نكون أمام درس هيلمسليف بخصوص تصوره لمفهوم الوظيفة السيميائية؛ ذلك أنه في كل سيرورة سميائية (سميوزيس) لا بد من حصولنا عنصر التعبير (الدال) الذي يتضمن عنصر المحتوى (المدلول) (...) وبذلك فالعلامة عند هيلمسليف لم تعد كما كانت في التقليد القديم، وهي أن يحلّ شيء محلّ شيء آخر ، بل إنها عبارة عن وظيفة تؤطرها العلاقة المتبادلة بين موظفين اثنين هما: التعبير والمحتوى. وقد مثل إيكو لذلك في قوله : إن الفعل الذي يخوّل لي استعمال صوت /س/ قصد تعيين القمر لا يجعل من الصوت /س/ علامة للقمر؛ في هذه الحالة فإنني لا أكون أمام وظيفة سيميائية إلا إذا أقامت هذه القاعدة علاقة بين التعبير /س/ بوصفه موظفا لوظيفة سيميائية والمحتوى "كوكب الأرض" بوصفه هو الآخر كذلك (...) فالتعبير والمحتوى كلاهما ينتمي للوظيفة السيميائية؛ فإذا فكرنا دون أن نتكلم فإن التفكير في هذه الحالة لا يشكل محتوى لسانيا، وإذا ثبت العكس تكلمنا دون تفكير، فإننا سننتج سلسلة من الأصوات التي لا معنى لها، وفي الحالتين معا، فإننا لا نحصل على تعبير لساني ولا على وظيفة للعلامة [4].

إن هذه العلاقة الافتراضية بين شكلي التعبير والمحتوى هو ما ينتج المعنى ويمنحه وجها مشخصا، انطلاقا من تمفصلات الدلالة التي تعمل على تحويله وترجمته من صيغته المبهمة ومن غنجه إلى أشكال محققة تدرك ضمن وحدات سياقية ميزتها التعدد والاختلاف «إن كل إنتاج للمعنى مرتبط بمادة مضمونية سابقة في الوجود على التحقق من جهة، ومرتبط من جهة ثانية بسيرورة معينة للتعرّف والإدراك. إن العمليتين معا تشكلان سيرورة التدليل، وفي غياب هذه السيرورة (السميوزيس) يستحيل الحديث عن بناء نصي، ولن تكون هذه السيرورة سوى الطريقة التي يتم بها تنظيم الوحدات المقتطعة من النسق الدلالي الشامل وفق استراتيجية محددة للآثار المعنوية المراد إنتاجها»[5].

فالسميوزيس سيرورة تدليلية منتجة لمعرفة أكثر عمقا وأكثر تطورا، ولا يمكن للذات الإنسانية أن تفكر خارج مدار هذه السيرورة. ويطلق بورس "السميوزيس" أو السيرورة التدليلية أو فعل العلامة على السيرورة التي يشتغل بموجبها شيء ما

[4] ECO (Umberto). - LE SIGNE, Histoire et Analyse d`un concept, adapte de L`italien par: Jean Marie Klinkenberg. ED, Labor Bruxelle, 1988.P P120-121.

[5] سعيد (بنگراد): السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2003 . ص:145.

بوصفه علامة، وهي سيرورة تتصل بقضايا الدلالة وبكيفية إنتاجها وطرق اشتغالها. يقول بورس: «أقصد بالسميوزيس (…) الفعل أو التأثير الذي يستلزم تعاضد ثلاثة عناصر، هذه العناصر هي العلامة وموضوعها ومؤوِّلها، ولا يمكن لهذا التأثير الثلاثي العلاقة أن يُختزَل بأيّ شكل من الأشكال إلى أفعال بين أزواج»[6].

إن السميوزيس، . أو السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما بوصفه علامة – سيرورة ثلاثية، لذا لا ينبغي فهمها بعيدا عن الإطار التداولي؛ أي دراسة أيّ فعل كلامي كيفما كان نوعه داخل سياق ثقافي ما. وفعل وصف دلالة ما، معناه وصف السيرورة المعرفية التي تؤوّل من خلالها علامة ما. وداخل هذه السيرورة، لا يمكن للعلامة أن تحقّق وجودها وحضورها الفعلي إلاّ من خلال عنصر التوسّط الإلزامي الذي يقوم به المؤوِّل. هذا الأخير هو الذي ينتج شروطا تبين ربط الشيء المبهم بالمجسّد، ويتيح فرصة إمكانية تمثيل الموضوع داخل الواقعة الإبلاغية. فهي سيرورة ثلاثية تقوم بتحريك وتفعيل ثلاثة عناصر، ما يعمل بوصفه علامة، وما تحيل عليه هذه العلامة ثم الأثر الناتج عنها؛ أي بين ماثول (أول) وموضوع (ثان) ومؤوِّل (ثالث) [*]، ويمكن النظر إلى هذه العناصر بوصفها الحدود البانية لهذه السيرورة. هذه الأخيرة، تتحول إلى نسق يتحكّم في إنتاج الدلالات وتداولها. ويمكن التمثيل لذلك بكلمة "شجرة" فهي تدلّ لأنها تشتمل على العلاقات الآتية:

« 1– متوالية صوتية تشتغل كتمثيل رمزي متعارف عليه عند مجموعة لغوية محددة (المجموعة اللغوية العربية في حالة كلمة "شجرة")؛

2– موضوع يستند إليه التمثيل من أجل إنتاج الصور الذهنية، وهو ما يشكّل أساس المعرفة، فالمعرفة التي لا تستند إلى موضوع لا يمكن أن تكون معرفة؛

3– مفهوم يحوّل الموضوعات إلى صور ذهنية تغنينا عن الوقائع، وتمكننا من التخلص من ربقة "الأنا" و"الهنا" و"الآن"»[7].

إن العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة تجعل السيرورة منفتحة على احتمالات تأويلية،هذا الانفتاح هو المعادل الحقيقي للسميوزيس؛«فالسميوز لا يمكن أن تكون تدبيرا لشأن خاص بعلامة مفردة، ولا علما لعلامة معزولة. إن السيميائيات هي طريقة في رصد المعنى وتحديد بؤره ومظانّه، إنها أيضا طريقة في الكشف عن حالات تمنّعه ودلاله وغنجه. ولهذا فالسميوز ليست تعيينا لشيء سابق في الوجود ولا رصدا لمعنى واحد ووحيد، إنها على العكس من ذلك إنتاج، والإنتاج معناه الخروج من الدائرة الضيقة للوصف"الموضوعي" إلى ما يحيل على التأويل باعتباره سلسلة من الإحالات المتتالية الخالقة لسياقها»[8].

إن هذه الاحتمالات – وهي احتمالات سميوزيسية – تدلّ على أن الانتقال داخل السميوزيس من عنصر لآخر يكسب العلامة تحديدات أكثر اتساعا وعمقا، سواء تعلّق الأمر بالمعطيات التقريرية الحرفية بوصفها النشاط الأول المرتبط بفعل إنتاج الدلالة، أو المعطيات الإيحائية بوصفها نشاطا ثانيا يقذف بالعلامة نحو عالم التأويل، «فالعلامة شيء تفيد معرفته معرفة شيء آخر»[9].

---

[6] PEIRCE (Charles Sanders): Ecrits sur le signe, OP.Cit, Page: 133.

[*] لابدّ من الإشارة إلى أن **"المؤوّل"** هو عنصر مشكّل للعلامة، وهو نفسه علامة، وليس **الشخص** الذي يؤوّل.

[7] سعيد (بنگراد): السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مرجع مذكور، ص:167.

[8] المرجع نفسه، ص: 34/35.

[9] أمبرتو (إيكو): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، مرجع مذكور، ص:120.

فما نحصل عليه في نهاية المسير التأويلي هو حدّ بدئي لمعرفة عميقة تطرحها تصورات جديدة، وهي تصورات تجعل من السميوزيس بؤرة للتوالد الدلالي اللامتناهي، هذا اللاتناهي لا يفصل العلامة عن أصلها، بل يحافظ على هويتها وتماسكها، «إن النشاط التأويلي، وفق الغايات السميوزيسية، المعلنة أو الضمنية فعل كلّي، إن كانت آثاره المباشرة هي تعيين دلالة ما (تعيين ما)، فإن عمقه لا تحدده سوى الإحالات ذاتها التي تجعل من أي نسق سيميائي بؤرة للتوالد الدلالي اللامتناهي»[10].

إن اللانهائي في هذا التوالد الإيحائي، وهذه السيرورة التدليلية لا يقيم قطيعة مع الحدّ البدئي، إنه يقوم بتعميق تمثّلاتنا ومعارفنا التي وضعت للتداول في الإحالة الأولى.

غير أنه إذا كانت سيرورة السميوزيس سيرورة تأويلية لامتناهية، فعلينا أن نفهم بأن عملية التأويل هذه ليست عملية حرّة، بل إنها حرية مشروطة؛ أي بقدر ما توهمنا عملية التأويل في أننا أحرار فيما نقول، فإننا في الوقت نفسه نجد أنفسنا مجبرين على تأويل وذكر ما يرد الشيء المؤوَّل قوله.

ومن منظور بورس، فلا وجود لعلامة في ذاتها، بل يمكن لكل شيء ولكل ظاهرة أن تصبح علامة. والتحوّل إلى علامة يعني الدخول في السميوزيس. بهذا المعنى «فالسيميائيات ليست علم العلامات، بل هي علم السميوزيس»[11].

إن صياغة هذه السيرورة السيميائية، معناه وصف سلسلة الحجج البانية لهذه السيرورة، بدءا بإدراك العلامة وانتهاء بحضورها في ذهن الشخص المؤوِّل لموضوع هذه العلامة. وهذا لن يتحقق إلاّ عندما تستقرّ هذه السلسلة في نقطة ما. أي إنها تعيد إنتاج الموضوع نفسه في إطار سيرورة لامتناهية.

فكلّ علامة هي موضوع تجربة، وإدراك نواة هذه العلامة، ومختلف عناصرها يجعل إمكانية فهمها أمرا ذا أهمية. وأول ما تبتدئ به هذه السيرورة هو تأكيد حقيقة التمثيل، بعد ذلك، فإن كل سيرورة استدلالية تالية تقتضي إنتاج متوالية من العلامات أكثر تطورا؛ ذلك أن موضوع العلامة يصبح هو الآخر موضوع بحث مستمر، والحجج والأفكار البانية لهذه السيرورة تسعى في كل خطوة إلى تأمين المرور من تمثيل لآخر، من موضوع إلى موضوع آخر لم يُحدّد بعد. ثم تتوقف هذه السيرورة في لحظة ما، لتستمرّ رحلة البحث عن المعنى من جديد. وفي كلّ بحث نصطدم تارة بالإنتاج وأخرى بالتأويل: الأول هو اختيار لتمثيل ما، أما الثاني فهو بحث مستمر حول هذا الاختيار. بمعنى آخر،تركّز هذه السيرورة الدلالية على إعادة بناء النواة الخاصة بالموضوع الذي يتم ربطه أو إيصاله دائما بالعلامة. إن الأمر يتعلق ببحث مستمر، وهو بحث يُفضي بنا إلى قضايا دلالية أكثر عمقا، وأكثر تطورا، وتكرار هذا البحث يولِّد لنا عادات في التأويل.

تنطلق هذه السيرورة من عنصر لتصل إلى عنصر آخر، وكيفما كانت طبيعة الظاهرة المدروسة، فإن الانتقال من العنصر الأول إلى العنصر الثاني لا يمكن أن يتم عن طريق الصدفة، وإلاّ أصبحنا أمام سيرورة غير متماسكة. لذلك يجب التعامل مع هذا الانتقال بوصفه معطى توسّطيا بانيا ومتحكِّما في كل المسيرات التأويلية التي تربط بين العنصر الأول والعنصر الثاني.

**السميوزيس؛ التحققات النقدية والفلسفية:**

يعادل مفهوم العلامة عند بورس مفهوم الحوارية عند باختين كما صاغه وشرح حدوده في كتابه " الماركسية وفلسفة اللغة". لقد قدم المفهوم على أنه جسر يصل بين ذاتين ونقطة تقاطع يتم تعزيزها

[10] سعيد (بنگراد): "السميوزيس والقراءة والتأويل"، مجلة علامات، العدد 10 السنة 1998، ص:46.

[11] Francoise(Armengaud): La Pragmatique, que sais-je? N:2230, ED: Press Universitaires de France 1985, P.19.

من قبل المتحاورين بكيفية ما. إنها فضاء جدلي يشع بالحياة للقاء والحوار تجسده التجربة الإنسانية في المعيش واليومي،حيث يتم بناء المعنى انطلاقا من الشروط الاجتماعية التي يمليها التلفظ مثلما تمليها التحققات الصوتية لفعل اللغة. وما يصدق على الكلمة يصح في الخطاب أيضا. فالحوارية هي مبدأ يقوم على اعتبار الكون كله مؤسساً على الحوار، إذ في أحاديثنا اليومية ننقل – عن قصد أو عن غير قصد – أقوال الآخرين ، لهذه الغاية لا يمكن بتاتا لمعنى الكلمة أن يظل حبيس المعيارية أو ثابتا، إنه يظل دائما مفتوحا على ممكنات وعلى ما لا يمكن توقعه، وهو ما يطابق إلى حدّ ما الاستمرارية عند بورس بين فعل العلامة وحركية السميوزيس. فالكلمة والخطاب عند باختين هي ما يعادل العلامة وحركية السميوزيس عند بورس في كل الحالات والتحولات.

لقد عدّ مفهوم الحوارية عند باختين قطب رحى تدور حوله العديد من المفاهيم التي تؤثث فضاء مختلف الأعمال الأدبية، فدراسته للروائي الروسي الشهير دوستويفسكي قادته لاكتشاف مفهوم الرواية البوليفونية تلك الرواية التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاورة، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الإيديولوجية، دون أدنى فكرة لحضور الهيمنة. بمعنى إنها رواية حوارية تعددية، تنحو المنحى الديمقراطي. فالعمل الأدبي يؤسس لسميوزيس اجتماعية من جهة وخطابية من أخرى.

وعلى نحو مماثل، قامت جوليا كريستيفا بتطوير مفهوم التناص الذي اشتق مصادره سواء من نصوص باختين أو من كتابات بورس. فالنص "لوحة فسيفسائية" من الاقتباسات المتكاثرة المتآلفة والمتباينة في الوقت نفسه، حيث تتفجّر من داخل النص نصوص متداخلة لا تعدّ ولا تحصى تسرّبت إلى داخل النص بوعي من المؤلف أو دون وعي. وهكذا فالنص ليس مغلقاً ولا محصّناً ضد التدخلات الهائلة التي تأتيه من كل حدب وصوب، ومن هنا كان رولان بارث يؤكد، في مقالته الشهيرة عن "موت المؤلف"، أن الكتابة قضاء على كل صوت، وعلى كل أصل. الكتابة هي هذا الحياد، هذا التأليف واللّلف الذي تتيه فيه ذاتيتنا الفاعلة. إنها السواد – البياض الذي تضيع فيه كل هوية، ابتداء من هوية الجسد الكاتب، «فهي (الكتابة) ترسم مجالا لا أصل له – أو قل لا أصل له غير اللغة ذاتها، أعني ذلك الشيء الذي ما ينفكّ يضع الأصل موضع سؤال»[12].

يقودنا هذا التصور، إلى تشييد تصور دينامي للنص باعتباره ظاهرة إنتاجية ترفض كل انغلاق، تعبِّر اللغة من خلاله عن تفاعل بين الذات والآخر، وبينها وبين النص المقروء عبر حركة اختلافية تبرر هذا النسق التفاعلي، مما يفسر الدينامية المستمرة لتوليد المعنى وتناسله من خلال الاستراتيجية القرائية التي تتفاعل فيها معارف القارئ القبلية ومعارف النص الجديدة. وهو ما يفرض على القارئ تنويع مداخله القرائية.

من هذا المنطلق سيتم النظر إلى المعنى بوصفه نتيجة اللقاء بين نصين؛ النص المقروء ونص القارئ. ومن خلال هذا التعبير نريد أن نقول إن القارئ بدوره، يمكن أن يُحدَّد بوصفه نصا في نسق رولان بارث، «إن هذه "الأنا" التي تقترب من النص هي نفسها متعددة، مشكَّلة من نصوص أخرى، ومن سُنن لا محدودة وبعبارة أدق هي تعددية ضائعة (أصلها مفقود)»[13].

إن تشتت المعنى وإنتاجية النص، هما نتيجة لتعاقب القراءات. والتعاقب؛ ليس شيئا آخر سوى تعاقب للنصوص وتعاقب لصور وأشكال الاختلاف. «فالنص إذن إنتاجية، وهو ما يعني:

1. أن علاقته باللسان الذي يتموقع فيه هي إعادة توزيع (هدم وبناء). ولذلك يمكن

[12] رولان (بارث): "موت المؤلف" ضمن: درس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء الطبعة، الثالثة، 1993، الصفحة:85

[13] Roland (Barthes): S/Z. Paris; Seuil; 1970; Page: 16.

مقاربة النص من خلال المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الصرفة.

2. إنه تحوير لنصوص أخرى وتناص: في فضاء نص ما تتقاطع وتتصارع أقوال وملفوظات عديدة مقتطفة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه»[14].

يفسِّر هذا كَوْن النص أصبح شبكة مختلفة، نسيجاً من الآثار الاختلافية التي تشير وترمز بصورة لانهائية إلى أشياء أخرى غير نفسها، إلى آثار اختلافات أخرى؛ حيث «يتمفصل النص مع المجتمع والتاريخ، لا بطرائق حتمية، بل بصور اقتباسية»[15].

وهكذا يجتاح النص كل الحدود المعينة له، وأصبح يعني أكثر مما يقول. بل إن لعب اختلافاته ذاتها يعكس إزاحته لنصوص أخرى سابقة عليه. ولكون النص ممارسة إنتاجية، فلم يعد النظر إلى المعنى بوصفه شيئا قارّا في النص، بل سيرورة تدليلية تسهر على توزيع الأنساق في لعبة من الإحالات اللامتناهية، «أن تقرأ، معناه دائما أن تقرأ في علاقة وارتباط مع نصوص أخرى بأنساق أخرى بوصفها كيانات مسؤولة عن إنتاج نصوص، وتحاول بناءها ثقافيا»[16].

يضعنا هذا التصور الأخير في صلب الممارسة التفكيكية نسبة لجاك دريدا فالنص لا مركز له، وهو، إن وجد «لا يشكل بؤرة ثابتة، بل يعد وظيفة، أي ما يشبه اللاموقع الذي تستبدل داخله العلامات المواقع فيما بينها »[17]. وهو ما يعني بعبارة أخرى، أن لا جدوى من البحث عن حقيقة أو أصل أو بداية، أو استعادة ما ضاع من خلال التمثيل، مادام كل شيء يتم داخل العلامات. فالنص عبارة عن مجموعة من الدوال التائهة المتملصة باستمرار من مدلولاتها ضمن لعبة تأجيل أبدية. واستنادا إلى هذه اللعبة الدائمة«يشكل غياب المدلول النهائي لعبا لا محدودا، أي تدميرا للوجود اللاهوتي لميتافيزيقا الحضور».[18]

إن التفكيكية بوصفها طرازا في التأويل تحاول الدخول إلى كل متاهة نصية. والمؤول التفكيكي يتوق عبر ذلك، إلى العثور داخل الواقعة المعروضة للدراسة على العنصر المجافي للمنطق، وعلى خيط في الواقعة المعنية يكون كفيلا بفكّ كل الخيوط،أو على الحجر الهشّ الذي سيقوض البناء بأسره. والأحرى القول إن القراءة التفكيكية تعدم الأساس الذي ينهض عليه البناء، عن طريق تبيان أن النص قوّض البناء لتوّه. وأن بنية هذا النص قد فكت نفسها بنفسها.

هذه الاستراتيجية جعلت من الممارسة التأويلية فعلا لا متناهيا، دخل معها النص تجربة انفلات قرائي، وهي تؤكّد أن النصوص تحتمل كل تأويل حتى أكثرها تناقضا،«فأن يكون التأويل لا متناهيا معناه أن كل الأفكار صحيحة حتى ولو تناقضت فيما بينها، وكل الإحالات ممكنة حتى ولو أدّت إلى إنتاج مدلولات عبثية وهذا أمر يتناقض مع المبادئ المؤسسة للعقلانية الغربية وقد يؤدي إلى تدميرها»[19].

وقد وجد أمبرتو إيكو لهذا النموذج التأويلي أصولا نظرية سحيقة تتمثل في تيارين فكريين قديمين هما:الهرمسية والغنوصية،«لقد كانت الهرمسية – مثلها في ذلك مثل الغنوصية –

---

[14] Julia (Kristeva): Semiotiké: Recherche Pour Une Sémanalyse ; Ed ; Seuil; Paris 1966 , Page: 11.

[15] –Roland (Barthes): L'aventure Sémiologique ; Ed ; Seuil ; Paris ; Page: 329.

[16] Jonathan (Culler) : THE PURSUIT OF SIGNS, Semiotics,Literature Deconstruction Cornell University Press ; Ithaca ; New York ;1981, ; Page: 12.

[17] Jacques (Derrida): L'ecriture Et La Différence ; Paris ; Seuil ; Coll. Point ; P: 411.

[18] Jacques (Derrida): De La Grammatologie ; OP Cit; Page:73.

[19] أمبرتو (إيكو): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة وتقديم: سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 2000. النص مأخوذ من تقديم المترجم: ص:14.

تبحث عن حقيقة لا تعرف عنها أيّ شيء، وكلّ ما تملك للوصول إلى ذلك هو الكتب. فكلّ كتاب كان عندها يشتمل على جزء من الحقيقة حتى ولو تناقضت هذه الكتب فيما بينها. وهذا ممكن لأن اللغة لا تشتمل إلاّ على المجازات فهي تبدي عكس ما تخفي، فبقدر ما تكون غامضة ومتعددة،بقدر ما تكون غنية بالرموز والاستعارات»[20].

هذه الأصول تفتح أيّ نص أو أية حقيقة على مصراعيها لتقبل جميع التأويلات حتى أكثرها تناقضا، وقد قضت بذلك شيئا فشيئا على أبسط مبادئ وبديهيات ومسلمات المنطق والعقل مثل"مبدأ الهوية"، "ومبدأ عدم التناقض"، "ومبدأ الثالث المرفوع*.

وهكذا فإن فكر هرمس – كما يلاحظ إيكو – يؤسس لمفارقة عجيبة فيما يتعلق بموقفه من اللغة والنصوص، وتأويلها، فهو يحول العالم كله إلى مسرح لغوي، ويحرم اللسان في الوقت نفسه من أية سلطة إبلاغية محددة أو ثابتة[21].

«إن موقفا (…) مثل هذا سيؤدي إلى تقويض مفهوم التأويل والتأويليةInterprétabilité وكل ما يسمح به (هذا الموقف) – على الأكثر – هو أن يستعمل شخص ما نصوصا بطريقة أو بأخرى لإنتاج نص جديد، وبمجرد ظهور النص الجديد، فسيكون من باب المستحيلات الحديث عن النصوص السابقة إلاّ بوصفها مثيرات غامضة أثرت بصورة أو بأخرى في إنتاج هذا النص الجديد شأنها في ذلك شأن الوقائع الفيزيولوجية والسيكولوجية التي تكون بكل تأكيد أصلا لإنتاج أي نص، والتي لا يحفل بها النقد عموما، باستثناء ذاك الذي يتيه في الافتراضات البيوغرافية والتخمينات النفسية الإكلينيكية»[22].

لا شك أن موقفا مثل هذا لا ينسجم مع تصورات بورس «إن التأويل – من هذا المنظور– ليس فعلا مطلقا بل هو رسم لخارطة تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة، وهي فرضيات تسقط انطلاقا من معطيات النص مسيرات تأويلية تطمئن إليها الذات المتلقية»[23]. «"فالعلامة شيء تفيد معرفته معرفة شيء آخر"؛ إن هذه المعرفة المضافة (بالمعنى البورسي للكلمة) تدل على أن الانتقال من مؤول إلى آخر يكسب العلامة تحديدات أكثر اتساعا سواء كان ذلك على مستوى التقرير أو على مستوى الإيحاء. إن التأويل باعتبار موقعه داخل نسيج السميوزيس اللامتناهية، يقترب أكثر فأكثر من المؤول النهائي المنطقي. فالسيرورة التأويلية تنتهي في مرحلة ما إلى معرفة خاصة بمضمون الماثول أرقى من تلك التي شكلت نقطة انطلاق هذه السيرورة»[24].

فالعلامة وفق هذا التصور لا تنتج دلالة تكتفي بذاتها، بل إنها تولّد سيرورة تدليلية أكثر تطورا انطلاقا من فعل التمثيل وأشكال الإحالة، والعلاقات التي تتم بين عناصر هذه السيرورة. هذه المعرفة المضافة تدلّ على أن الانتقال من عنصر داخل هذه السيرورة إلى آخر يعطي للسميوزيس بعدها التوليدي في إنتاج سلسلة لامتناهية من العلامات. فكل علامة تؤوّل أخرى ومن شأن أيّ فعل تأويلي أن يتحوّل بدوره إلى

---

[20] المرجع نفسه، النص من تقديم المترجم: ص:14/15.

[*] - إن المعرفة التأويلية التي تستند إلى مبدأ الحدّ والعقل – سواء مع أفلاطون أو أرسطو ومن يدور في فلكهما – تعمل وفق مبدإ أساسي مفاده؛ أن المعرفة هي إمساك بالسبب." إن تعريف الله انطلاقا من هذا الرابط، معناه تحديد سبب يقصي كل سبب آخر. فلكي تكون قادرا على منح العالم تعريفا سببيا، يجب بالضرورة أن تستحضر فكرة وجود سلسلة وحيدة الاتجاه. إن وجود حركة تسير من "أ" إلى "ب" يفترض غياب أية قوة قادرة للسير بهذه الحركة من "ب" إلى "أ". من هنا، ومن أجل تبرير الطابع الخطي الأحادي الاتجاه للسلسلة السببية، يجب الاستناد إلى مجموعة من المبادئ: مبدأ الهوية: ("أ"="أ")، مبدأ عدم التناقض (يستحيل أن يكون الشيء "أ" ولا "أ" في نفس الآن)، ومبدأ الثالث المرفوع ("أ" إما صحيحة وإما خاطئة). أمبرتو (إيكو): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية والتفكيكية مرجع مذكور، ص:26.

[21] أمبرتو (إيكو): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية مرجع مذكور، ص:34.

[22] Umberto (Eco): les Limites De L' interprétation; traduit de l'italien par;Myriem Bouzaher. ; Grasset ; 1990.:45.

[23] أمبرتو (إيكو): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية مرجع مذكور، النص من تقديم المترجم، ص:.11

[24] Umberto (Eco): Les limites de L'interprétation, OP.Cit, Page:371.

علامة ويولّد سيرورة سميائية جديدة، وهو ما يجعلنا بصورة واضحة أمام مفهومي التوليد والتأويل في سيميائيات بورس.

إن مفهوم التأويل – حقيقة – هو ما يهمنا أكثر لأنه هو الذي يؤسس الفرضية القائلة: «إن المعنى هو نص مفترض والنص هو امتداد لآثار معنوية »[25]. وتعدّ هذه الفرضية أساسية، لأنها تفترض، وبصورة مسبقة، الدور الحقيقي الذي يُعهد للقارئ بوصفه المسؤول عن فعل التأويل، وبالتالي انخراطه في تحيين النص.

لذا فإن الفرضية السالفة ليست جديدة، ففي سيميائيات بورس ما يؤكّد وجود هذه الفرضية خاصة تصوّره المنسجم والمتكامل لمفهوم السميوزيس اللامتناهية وغنى نظرية المؤولات، لما لهذه الأخيرة من أهمية في عقد الصلة بمفاهيم متداولة كثيرا في الحقل التداولي، خاصة المفاهيم المتعلّقة بمقامات وظروف التلفظ، وتلك التي لها علاقة بافتراضات الذات المؤولة واقتضاءاتها والاشتغال الاستدلالي لتأويل النص. هذا الأخير يقتضي التحيين من قبل الذات المؤولة. وهو بذلك يفسح المجال أمامها لإمكانات تأويلية متعددة، إنه بتعبير إيكو، «منتوج يشكّل قدره التأويلي جزءا من آليته التوليدية»[26]. ولا شكّ أن توليد وتأويل نصّ ما، في حالة بورس، يعني تشغيل استراتيجية سميوزيسية متعاضدة تراعي التأليف والتمفصل بين مختلف العناصر المشكّلة لها (الماثول والموضوع والمؤول).

ففي هذا المنظور، يصبح كل مؤول باعتباره هو الآخر علامة، بناء سيميائياً قابلا بدوره لتأويل آخر، هذه السلسة اللامتناهية من التأويلات، هي مجرد احتمال سميوزيسي لا يمكن أن يتحقّق إلاّ ضمن سياق محدّد أو من زاوية بعينها، «فالسميوزيس – بصورة مفترضة – لامتناهية، إلاّ أن أهدافنا المعرفية تقوم بتأطير وتنظيم وتكثيف هذه السلسلة غير المحدّدة من الإمكانات. فمع السيرورة السميوزيسية ينصبّ اهتمامنا على معرفة ما هو أساس داخل كون خطابي محدد»[27]. هذا الكون الخطابي هو الذي يحدّ من حجم التأويل وامتداداته، إنه يشكّل فاصلا بين التأويل اللامتناهي والمتاهي (نسبة إلى المتاهة) الذي لا تحكمه ضفاف، والمسير التأويلي المحكوم بانتقاءات سياقية والذي له ضوابطه ومنطقه ونتائجه الدلالية. مما يعنى أن السيرورة التأويلية متناهية من حيث التجسيد العملي.«فالعلامة تكتسب مزيدا من التحديدات كلما أوغلت في الإحالة والانتقال من مؤول إلى آخر. من هنا، فإن الحلقات المشكّلة لأي مسير تأويلي تقود إلى إنتاج معرفة أعمق وأوسع من تلك التي تقدمها العلامة في بداية المسير. وهكذا فإن ما نحصل عليه من معرفة في نهاية السلسلة هو تعميق للمعرفة التي تطرحها العلامة في حدّها البدئي»[28].

**السميوزيس؛ الإنتاج الاجتماعي والطبيعة الإيديولوجية للمعنى:**

إن التأويل عند بورس أعطى الصورة الحقيقية لمفهوم الذاتية، وذلك بأن نظر إلى هذه الذاتية بوصفها المظهر والمكان المخصَّصين لشبكة منظمة من المؤسسات الاجتماعية القابلة للملاحظة والوصف الموضوعيين، «إن "الأنا" هي التي تتكلم، لكن ما تنتجه وما تقوله لا يمكن أن يكون ذاتيا؛ أي إن "الأنا" هي مكان العلامات وبالضبط هي مكان المؤولات وهو مكان ليس

[25] UMBERTO (ECO):, LECTOR IN FABULA, Ou la coopération interprétative dans les textes narratifs, Traduit de l`italien par MYRIEM BOUZAHER, ED, Grasset & Fasquelle, 1985.32.

[26] Ibid. pp: 68/70.

[27] Umberto (Eco): Les limites de L'interprétation, OP.Cit, Page:371.

[28] سعيد (بنگراد): "السميوزيس والقراءة والتأويل" مجلة علامات، العدد 10 السنة 1998، ص:47/48.

معزولا، على العكس إنه مكان يشكل حالة، وكل حالة هي حالة اجتماعية»[29].

وعندما يتعلّق الأمر بالمجتمع فإننا نضع نصب أعيننا مقولة العادة باعتبارها قانونا؛ أي باعتبارها مجموعة بشرية تعدّ ضمانة بيذاتية على مقولة الحقيقة كمعطى عرضي بلغة إيكو. إن فكرة المجموعة البشرية تشتغل باعتبارها مبدأ لا يأتي قبل السيرورة التأويلية، بل بعدها، وهو مبدأ يسمح لها بتجاوز كل التصنيفات أو القصديات الذاتية والفردية للمؤول الفرد، لأن التأويل ليس وليد بنية الذهن البشري ولكنه وليد الواقع الذي تشيده السميوزيس [30].«إن المجموعة البشرية عندما تتفق على تأويل ما، فإنها تنتج مدلولا، إن لم يكن موضوعيا فهو بيذاتي، وسيتم، على أية حال، تفضيله على أي تأويل آخر لم يتم الحصول عليه نتيجة إجماع المجموعة البشرية عليه»[31]. وعلى الرغم من كل الصعوبات التي تثيرها القضايا المتصلة بالمعنى سواء من لحظة انبثاقه من أصله إلى لحظات تلقيه وتأويله، فإن هذا المعنى يظل محكوما وموجها بواسطة أنساق وقواعد. هذه القواعد والأنساق هي ما يؤكد الأبعاد الموضوعية للمعنى. والموضوعية «لا تحيل بالتأكيد، على مادة مضمونية قارة وكلية مودعة داخل النص بشكل سابق على القراءة وعلى فعل التأويل. كما لا تحيل، بالتأكيد أيضا، على معنى واحد ووحيد يمنح النص ما يضمن له هويته الخاصة؛ كما لا يتعلق الأمر بغايات دلالية سابقة على فعل القراءة. إن المقصود بالموضوعية في حالة المعنى هو الاعتراف بوجود قيود يستدعيها تحقق لا يمكن أن يتم إلا في ارتباطه بأصل مولد له»[32].

إن هذه القيود، هي ما يجعل من المعنى معطى موضوعيا من جهة، وهي ما يجعله قادرا على خلق معرفة متطورة وجديدة من جهة أخرى. لأن العلامة، عند بورس، لا توفِّر معرفة فحسب، بل نستطيع بواسطتها التعرّف على معارف جديدة.

إن المعنى الذي يُسنَد لقيمة ما أو قيم ما داخل المجتمع لا يمكن أن يدرك بصورة فعلية إلا من خلال تحقق هذه القيم وتجسيدها في أدوار أو وظائف ومؤسسات تخرج هذه القيم من تجريديتها وتمنحها وجها مشخصا، وذلك بإعطائها مضمونا وصبّها في وعاء يتم من خلاله تحديد السياق أو التلوينات الثقافية التي تخصص هذه القيم وتخرجها من لازمنيتها المطلقة إلى زمن ومكان محددين، «إن التجسيد هو المدخل الرئيس نحو خلق سلسلة من الأنساق التي تقوم بتنظيم مجموعة من القيم في أشكال محددة في الزمن وفي المكان. ويسمح هذا التنظيم لهذه القيم – تبعا لذلك – بالدخول مع بعضها البعض في شبكة من العلاقات التشابهية التقابلية والعكسية. ولعل هذه العلاقات المتنوعة هي ما يحكم نمط إدراكنا للعالم. فنحن لا ندرك إلا الاختلافات»[33]. ولا يمكن لهذه القيم أن تُحيَّن وتنتج دلالة إلاّ إذا أدرجت ضمن شبكة من العلاقات تمنحها وجها عمليا وإجرائيا وتنظيميا قابلا للإدراك والمعاينة. إن هذه العلاقات تمرّر وتصرّف السياق باعتباره شرطا أساسيا لترويج الدلالة والإمساك بها في الآن نفسه. إن تنظيم هذه القيم داخل وحدات سياقية محددة هو المشكِّل لما نصطلح على تسميته "الإيديولوجيا" أوالصياغة المخصوصة للقيم. بذلك تكون الإيديولوجيا هي الوجه المرئي والمشخص لهذه القيم، إنها «التجسيد الفعلي للمادة المضمونية داخل حدود زمنية/فضائية تمنح القيم لونا وطعما وخصوصية. إن التشخيص هنا هو إدراج القيم المجردة ضمن سياقات خاصة. فالفعل

[29] GERARD (DELEDALE): THEORIE ET PRATIQUE DU SIGNE. Introduction à la sémiotique de C.S. Peirce ,PAYOT , PARIS , 1979 , Page: 33/34.

[30] – أمبرتو( إيكو): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، مرجع مذكور، ص:135/134.

[31] المرجع نفسه ، ص:135.

[32] سعيد (بنگراد): السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مرجع مذكور، ص:154.

[33] سعيد (بنگراد):شخصيات النص السردي، ، ص:67. - البناء الثقافي - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس 1994

الخاص يحتاج إلى سياق خاص يميزه ويستمد منه فرادته»[34]. وهذه الإيديولوجيا لا يمكن أن تكون إلاّ من طبيعة المادي والملموس. إذ ليس هناك أيّ معنى لأيّ سلوك أو ممارسة إلاّ في إطار نسيج مركب من المواد المحسوسة. ولا يمكن تصور أي شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي خارج مدار هذا النسيج؛ أي خارج مدار السميوزيس. لهذا فالمطلوب هو إدراك الكيفية التي يتم بها استثمار السميوزيس في كل شكل من أشكال النسيج الاجتماعي. إنها بلغة أخرى تحدد وتهتم بطبيعة الإنتاج الاجتماعي للمعنى باعتبارها رُزما أو أنساقا ثقافية منمذجة ومركبة غايتها في ذلك اختراق الشبكات الاجتماعية للمعنى. لأن هذا المعنى هو وليد ممارسات أو هو حصيلة وخلاصة عمل اجتماعي.

تشتغل هذه الإيديولوجيا بوصفها حصيلة وسنناً يكثف داخله كل الأشكال العامة للسلوك الإنساني القابل للتحقق. بمعنى آخر، فلا قيمة للسلوك إلاّ في إدراجه ضمن خانات مركبة تفترض وجود علاقات أو تعاقدات تتخذ شكل استثمارات في كتل من المواد القابلة للإدراك والمعاينة، والتي تعطي لهذا السلوك وغيره تحققاته الممكنة داخل سياق محدد، وهو ما يضعنا مباشرة أمام الإرغامات الخطابية أو القواعد المحدِّدة للشروط التي يتم بموجبها إنتاج وتداول شيء ما واستهلاكه. [35]

«إن الأفكار والتمثلات... التي تشكل، فيما يبدو، الإيديولوجيا لا تمتلك وجودا مثاليا أو فكريا أو روحيا، بل تمتلك وجوداً ماديا. إن الإيديولوجيا لا تظهر إلاّ مجسدة في جهاز وفي ممارسته أو ممارساته. إن هذا الوجود وجود مادي. فكل الممارسات المنتشرة في المجتمع، حفلات الزفاف، مراسيم التأبين، تلقي التهاني، وأيضا طريقة الجلوس والأكل واستقبال الضيوف... تندرج ضمن ما يسميه ألتوسير الإيديولوجيا المجسدة، وهي طريقة أخرى للقول إن القيم المجردة تتخذ من خلال الممارسة وجها مشخصا»[36].

إن التحول من النظام القيمي العام والمجرد إلى التحقق الخاص لا يمكن أن يتم إلاّ باعتماد سلسلة من القواعد والأنساق التي يتم بها تحيين القيم داخل سياق محدد. إن هذا التحول من العام والمجرد إلى المحقق، هو تحول لا يتم عن طريق الصدفة، بل هو تحول محكوم باستراتيجية تنظر إلى الدلالة بوصفها سيرورة تداولية يتحكم فيها محفِلا الإنتاج والتلقي. إنها استراتيجية تتعلق بما هو خطابي، أي بنحوٍ لتوليد المعنى واستثماره في وقائع ملموسة دالة. هذه الاستثمارات هي التي سيُنظر إليها بوصفها مجموعة من الإرغامات الخطابية المحددة للشروط التي يتم في إطارها أو بمقتضاها إنتاج المعنى وتداوله واستهلاكه. ويفضل إليزيو فيرون تسمية هذه الشروط "بشروط التعرف"[37].

وعلى هذا الأساس، فإن الإيديولوجيا «ليست سجلاّ لمضامين محددة ("الإرادة" "والمواقف" و"التمثلات") بل هي نحو لتوليد المعنى، ولاستثماره في مواد دالة. ولا يمكن تبعا لذلك تحديدها من خلال المضامين»38. إنها بمعنى آخر مجموعة من الإرغامات أو الأنساق البانية ليس فقط لحالات التسييج النهائي للفعل التأويلي، بل إنها تقوم بدور المثير أيضا، ومن شأن هذه الأنساق الإيديولوجية أن تحث القارئ، أحيانا، على إيجاد أمور في النص يكون المؤلف نفسه غير واعٍ بها، لكن النص ينقلها ويعمل على ترويجها بصيغة من الصيغ. إن هذه البنيات

---

[34] سعيد (بنگراد): السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مرجع مذكور، ص:157.

[35] Eliseo (Veron):"Sémiosis de l'idéologie et du pouvoir"; in Communications 28 ;1978; Page:8.

[36] سعيد (بنگراد):"عن التسنين السردي والتسنين الإيديولوجي"، مجلة علامات العدد 2 السنة الأولى 1994، ص:27

[37] Eliseo (Veron):"Sémiosis de l'idéologie et du pouvoir"; in Communications 28 ;1978; Page:8.

[38] Ibid; Page:15.

الإيديولوجية تتحكّم في الأشكال والوقائع التي يتم بها تحيين وتخصيص القيم.

ويمكن النظر إلى هذه الأنساق الإيديولوجية بوصفها حالات مسننة، تنتمي إلى الموسوعة. وعلى هذا فإن القارئ يقارب النص انطلاقا من منظور إيديولوجي بوصفه جزءا من موسوعته حتى وإن كان غير واع بذلك.

إن كل ما تمّت الإشارة إليه لحدّ الآن يؤكّد أن أيّ مقاربة أو تحليل لأيّ ظاهرة دالّة، هو بالضرورة تحليل يقتضي استحضار عناصر خارجية. فالمعنى المنتَج لا يصبح محققا ومرئيا – كما سلف – إلاّ في علاقته بالنسق الإنتاجي الذي ولّده، أي في علاقته مع ما يوجد خارجه "أي العناصر التي شكلتها شروط الإنتاج والتداول والتعرّف"[39].

إن التأويل هو فن التوسّط والتبادل والنقل. فهو سيرورة لتحرير المعنى من أبعاده التقريرية الجامدة، إنه فوق كل ذلك أكثر من ترجمة ما، وإدراكه بهذا الشكل يذكّرنا بأن الإنسان هو كائن لغوي وتاريخي واللغة هي الوسط الحقيقي والفعلي لكينونته.

إذا كان التأويل مرتبطا بفكرة التوسط الإلزامي، (الفن والتاريخ والفلسفة والأسطورة واللغة وسائط للتجربة السميوزيسية) وهو تأويل من خلاله تبحث المعرفة عن العام والقانون والقاعدة لتجد وتحقق اكتمالها، وبفضل التأويل ينتج الإنسان وساطة بينه وبين العالم [40]، وإذا كان هذا التوسط يشتغل بوصفه قاعدة عامة يتم بواسطتها إنتاج الدلالة وتداولها، فإننا نستطيع النظر إليه بوصفه سننا يكثف داخله كل الأشكال والممارسات العامة للسلوك الإنساني؛سواء كان هذا السلوك لغويا أو اجتماعيا أو سياسيا أو فنيا أو دينيا... وهي أشكال يتم تحيينها وتجسيدها في ممارسات خاصة ومحددة ومؤطَّرة في الزمان والمكان.

**خاتمة:**

بناء على ما سبق، فإن الحديث عن سميوزيس لها علاقة بالتاريخي والثقافي والاجتماعي، لا يمكن أن يتأتى إلاّ انطلاقا من:

1. الأهمية المعطاة للبنيات الرمزية المسبقة للمجالات المعرفية التي تناولتها العلوم الإنسانية؛ من هنا فإن اقتحام هذه المجالات وكل المعطيات يكون عبر اللغة باعتبارها وسيطا رمزيا وثقافيا.
2. تجاوز الوعي التأويلي المتعاضد (السميوزيس) لكل وعي منهجي.

قدرة السيميائيات على نقل كل المشاريع والمكتسبات العلمية إلى اللغة؛ ومن هنا فإنها تقيم علاقة ملموسة بين المعرفة والعالم المعيش. بمعنى آخر فإن التأويل عبر اللغة هو أداة التوسط الموضوعي بين عالم القيم المجردة وبين تحققاتها في الفعل الإنساني.

## المراجع

### المراجع العربية:


إيكو (أمبرتو): **التأويل بين السميائيات والتفكيكية**، ترجمة وتقديم: سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 2000.

-**السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2003 .

-"**السميوزيس والقراءة والتأويل** "، مجلة علامات، العدد 10 السنة 1998.

-"**عن التسنين السردي والتسنين الإيديولوجي**"، مجلة علامات العدد 2 السنة الأولى 1994.


[39] Eliseo (Veron):"Sémiosis de l'idéologie et du pouvoir "; in Communications 28 ;1978;;Page:12.

[40] Hans – George Gadamer: L'Art de comprendre Herméneutique et champ de l'expérience humaine ;Textes réunis par Pierre Fruchon, Ed; Aubier, 1991.p205.

بارث (رولان): **درس السيميولوجيا**، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء الطبعة، الثالثة، 1993.

بنگراد (سعيد): **شخصيات النص السردي** ـ البناء الثقافي ـ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس 1994.

## المراجع الأجنبية:

Armengaud (Françoise): Pragmatique, que sais _ je? N: 2230, ED: Press Universitaires de France 1985.

Barthes (Roland): La S/Z. Paris; Seuil; 1970.

Culler (Jonathan):-THE PURSUIT OF SIGNS.Semiotics,Literature Deconstruction Cornell University Press; Ithaca ; New York ;1981 .

Derrida (Jacques): De La Grammatologie Editions De Minuit; 1967

ECO (Umberto): LECTOR IN FABULA, Ou la coopération interprétative dans les textes narratifs, Traduit de l`italien par MYRIEM BOUZAHER, ED, Grasset & Fasquelle, 1985.

Gadamer (H. – George): L'Art de comprendre. Ecrits II Herméneutique et champ de l'expérience humaine; Textes réunis par Pierre Fruchon, Ed; Aubier, 1991.

Gadamer (H. – George): L'Art de comprendre. Ecrits II Herméneutique et champ de l'expérience humaine; Textes réunis par Pierre Fruchon, Ed; Aubier, 1991.

GERARD (DELEDALE): THEORIE ET PRATIQUE DU SIGNE. Introduction à la sémiotique de C.S. Peirce, PAYOT, PARIS, 1979.

Kristeva (Julia): Semiotiké: Recherche Pour Une Sémanalyse ; Paris; Ed; Seuil 1966.

Kristeva (Julia): Semiotiké: Recherche Pour Une Sémanalyse; Paris; Ed; Seuil 1966.

L'aventure Sémiologique ; Ed ; Coll, Point, Seuil, Paris, 1985.

LE SIGNE, Histoire et Analyse d`un concept, adapte de L`italien par: Jean Marie Klinkenberg. ED, Labor Bruxelle, 1988.

LE SIGNE, Histoire et Analyse d`un concept, adapte de L`italien par: Jean Marie Klinkenberg. ED, Labor Bruxelle, 1988.

L'écriture Et La Différence ; Coll. Point; Seuil ; Paris;1967.

LECTOR IN FABULA, Ou la coopération interprétative dans les textes narratifs, Traduit de l`italien par MYRIEM BOUZAHER, ED, Grasset & Fasquelle, 1985.

les Limites De L' interprétation; traduit de l'italien par;Myriem Bouzaher. ; Grasset ; 1990.

les Limites De L' interprétation; traduit de l'italien par;Myriem Bouzaher. ; Grasset; 1990.

Peirce (Charles Sanders): Ecrits sur le signe , rassembles, traduits et commentes par Gérard Deledalle, ED. Seuil, Collection, L'ordre Philosophique, Paris, 1978.

Peirce (Charles Sanders): Ecrits sur le signe , rassembles, traduits et commentes par Gérard Deledalle, ED. Seuil, Collection, L'ordre Philosophique, Paris, 1978.

Sémiosis de l'idéologie et du pouvoir"; in Communications 28; 1978.

Sémiosis de l'idéologie et du pouvoir"; in Communications 28; 1978.

Veron (Eleseo): La Semiosis et son monde "in Langages 58, ED, Larousse.1980.